

## هل انتهى ادب حزيران ؟

« الجماهير الخارجة من هزيمة حزيران عادت لتكشف ، وعبر المقاومة الفلسطينية ، احساسها القومي « الصافي » . ورات في المقاومة طريقا الى القتال الذي حرمت منه طويلا ، فجاء الشعر الفلسطيني ليعبئ قراغا احدته ضهور الحركة الشعرية الحديثة وتراجعها فسي عملية بحث عن الذات ، فكان الشعر الفلسطيني هو شعر الواقع الجديد وهو صوت المرحلة الثورية الرومانسية الوئيدة ، غير ان الاندفاعية الجماهيرية سرعان ما تصطم بعقبات جديدة ، وسرعان ما بدا ان الواقع الذي اعتقدناه واضحا عشية حزيران هو اكثر تعقيدا مما تصورنا ، هو ان ثورة الشعب الفلسطيني لا بد لها من تفهم العلاقات التي تعيش وسطها كي تستطيع تجاوز حقول الالغام المزروعة امامها : هكذا كان الشعر الفلسطيني مواجهها مصيره الفني « (1) وبدلا من ان يفهم النقد العربي هذه الخلفية التي حملها ويحملها معه الشعسر الفلسطيني ، انحصر اهتمامه به في اطار السطح ( البكاء والوعويل انطلاقا من الارض المحتلة ، واستشراف العودة الى الارض في يوم ما ) .

وسط هذا المناخ الفاسد ، هذا المناخ المتكالب ، تعامل المثقفون العرب ، وكذلك النقد ، مع ادب المقاومة تعاملات عاطفيا ، اي تعاملات خارجيا ، صحيح ان آثار الهزيمة كانت لا تزال تبدو جديدة ، لكن لا احد اراد ان يتجاوز الهزيمة كعقدة نفسية تاريخية عقدت الانسان العربي ، لذلك « ازدهر » ادب المقاومة لانه وجد نفسه وحده فسي ساحة الاستهلاك ، كتعويض عن ضهور الشعر العربي ( من جهة ) وضهور الذهنية العربية ، كتعويض عن وصول الشعر العربي الى حافة الركود والتكرار ( من جهة اخرى ) .

ان توفير المناخ الطبيعي ، لكي يزدهر ادب ما بعد حزيران لم يكن طبيعيا . ففي حملة المراجعة والنقد الذاتي وطئت اقدام الادب الرديء على صدور الادب الجيد باسم المراجعة والنقد الذاتي ايضا ، بينما اخذت دور النشر تتاجر في الادب الفلسطيني كما لو كان افسلام « كاوبوي » ! وبدانا نقرأ شعرا فلسطينيا مائلا في كثير من الكتب وبهذا الاعلان ( آخر ما كتبه شاعر المقاومة مثلا ) .

من الصعب جدا احصاء الكتب التي صدرت بعد هزيمة ٦٧ مباشرة : دواوين شعر ، مجموعات قصص ، روايات ، كتب سياسية ، مذكرات الخ ... ففي خضم الاحساس بكابوس حزيران ، كانت الكتب تصدر ولا مبرر لها الا الهزيمة . ان غرلة نقدية واعية ، تستطيع ان

الآن ، وبعد ان دخل العرب حربا حقيقية مع اسرائيل لاسترداد اراضيهم وكرامتهم ، نجد انفسنا ، مضطرين الى طرح هذا السؤال : بعد الحرب ، كيف سيكون واقع الادب العربي الحديث ؟ هل سيتغير وجهه الحالي كليا ام سيبقى محافظا على نفسه القديم ؟ نفس ما بعد ٦٧ الى الان ؟ مبدئيا ، لا يمكن الجزم ، نهائيا ، بحالة التغيير التي ستشمل الادب العربي الحديث دون معرفة اسباب المعطيات التي ستطرحها حالة الحرب الدائرة ( رغم لعبة وف ف اطلاق النار ) . وكذلك انعكاساتها الكثيرة ( والخطيرة معا ) التي ستترك بصماتها عليه : فالامر كله موكول الى عامل واحد : نهاية الحرب ، حيث ستتنفس الاحاسيس من جديد ويبدأ البحث عن شكل « ملائم » للادب ، اي ان الحالة التي ستنتهي اليها الحرب العربية الاسرائيلية ( العربية التحريرية من جهة ، والصهيونية المضادة من جهة اخرى ) هي التي بإمكانها ان تعطي جوابا نهائيا لواقع الادب العربي ما بعد « تشرين ٧٣ » ...

بعد هزيمة حزيران الخاطفة ، وما خلفته من نكسة عميقة فسي نفسية الانسان العربي ، خصوصا المثقف ، انبهر المثقفون العرب ( وكذلك النقد من جهته ) بما سمي آنذاك بادب المقاومة ( محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، سليم جبران ، وغيرهم ... ) لكن « اكتشفهم » له جاء جد متأخر . وحيث ان ادب المقاومة كان ، اساسا ، يعكس نضال العرب داخل الارض المحتلة ، وحيث انه ، من جهة اخرى ، كان فجيفة مستهرة تصر على ابراز الهوية العربية الفلسطينية ، رغم محاولات الازابة فقد وجد ادب المقاومة نفسه ، والشعر منه بالخصوص ، يلتقي مع خروج الهزيمة مباشرة الى الساحة العربية لتظل كابوسا يؤرق كل عربي ، ولتظل حلوى مستهلكة كل يوم ، وهكذا بدأت المراجعة في كل شيء ، في السياسة ، في الشعر ، في الرواية ، في الفكر العربي ، في سبر اغوار الوجدان العربي الذي ظل متخلفا عن غول « التكنولوجيا » كما تلوح بها اسرائيل ومن ورائها الغرب ، وباختصار نشطت حملة « النقد الذاتي بعد الهزيمة » التي انشطت الى شطرين : ايجابي وسلب ، ووسط هذا الشتات من نبد الماضي والتطلع الى المستقبل ، بروح علمية جديدة ، استمر ادب المقاومة وحده في الساحة ومن ورائه الاصوات العربية الاخرى غير الخاضعة للاضطهاد ( الاضطهاد الحرية ) .

لماذا اذن لقي ادب المقاومة ، بعد هزيمة حزيران مباشرة ، كل ذلك الاقبال المنفعل احيانا والساذج احيانا ؟ هل جاء كخلاص ؟ لان

(1) مقال الياس خوري في شؤون فلسطينية العدد ٢٦ .

## برقية

تلقينا من وزير الشؤون الثقافية في تونس البرقية التالية نسبتها عملا بحرية النشر :

الى السيد مدير مجلة « الآداب » البيرونية - بيروت .  
طالعت في عدد اكتوبر ( تشرين الاول ) من مجلة « الآداب » ( ص ٩ ) نص برقية موجهة من اتحاد الكتاب اللبنانيين الى وزير الثقافة التونسي فحواها ان الشاعرة التونسية فضيلة الشابي كانت في المدة الاخيرة عرضة لاجراء تسمفي من السلطات التونسية تجسم في ما عبرت عنه بحجز حريتها في الالتحاق بزوجها فسي الخارج الخ . . وقد اجريت بحثا في الموضوع فنتبين ان السيدة فضيلة الشابي هي فعلا على اهبة الالتحاق بزوجها في الخارج ولديها جواز سفرها الذي يخولها ذلك خلافا لما جاء في برقية الاتحاد ، فالرجاء اشعار الاتحاد بهذه الحقيقة ونشر برقيتي هذه في نفس المكان الذي نشرت به البرقية المشار اليها اعلاه ، وتقبلوا عبارات التقدير والشكر .

### وزير الشؤون الثقافية

السلطانية نتيجة الضربات من كل جهة خصوصا « ايلول الاسود » عام ٧٠ في الاردن ، تهافت الانظمة العربية على الحلول السلمية وما تبع ذلك من انعكاسات على الوضع العربي العام والمثقف العربي بوجه خاص حيث بدأ الياس يدب ، حالة لا حرب ولا سلم ، « غياب » الجماهير العربية عن مسؤولياتها حيث لا زالت الى الان نحت الوصاية ، واخيرا تكالب الصهيونية والامبريالية ( بتواطؤ مع الرجعية المحلية ) على الشعوب العربية قصد تشكيكها في مقدراتها الذاتية على النضال . هذه العوامل ، وغيرها ، احدى المعطيات الاساسية ، جعلت الادب العربي ، بعد النصف الثاني من فترة الهزيمة ، موجودا لكنه غير فاعل .

ان الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ، التي لم ينتصر فيها العرب كليا ولم يهزموا كما حدث في يونيو ٦٧ ، ستكون ولا شك ذات منعطف آخر في مسيرة الادب العربي الحديث والفكر العربي الحديث ، كذلك ستكون منعطفا هاما في عقلية الانسان العربي الذي احس ، هذه المرة ، بنوع من التفاؤل ، ودون الاهتمام بلعبة وقف اطلاق النار ستظل هذه الحرب عاملا اساسيا من عوامل التحول في التفسيرات والعقول ، وحتى لو استمرت او اوفقت ، فانها كانت تبدو ضرورية : لقد استمر عار ٦٧ جاثما علينا ست سنوات الى سادس اكتوبر ، من اجل ذلك تبقى المقاومة الفلسطينية هي المنطلق وهي المنتهى ، ان الاستمرار في النضال يعني الاستمرار في تأكيد الهوية العربية التي توضحت نسبيا في حرب سادس اكتوبر لتظل المقاومة وحدها ، ومن رانها الادب بصفة عامة ، في الساحة . فهل ستكون هذه الحرب الحقيقية عاملا حاسما في نهاية ادب ما بعد حزيران ٦٧ وظهور ادب ما بعد اكتوبر ٧٣ ؟ مرة اخرى ليس هناك جواب نهائي ، وحتى اذا وجد فليس بالضخامة التي وضع بها ادب ما بعد حزيران . .

تترك اشياء وتلقي كثيرا من الاشياء ، وحتى الان ، لا يزال النقد العربي يدور في فلك حزيران (استطاع فكر المقاومة السياسي، خصوصاً منه الجانب الثوري ، ان يضع يديه على الجرح العميق الذي تعاني منه الجماهير العربية في ظل انظمة غائبة ) .

وعلى الصعيد السياسي ، كانت الانظمة العربية التي مستها الهزيمة العسكرية مسا مباشرا ، تبحث عن نفسها وسط كثير من الشعارات التي طرحتها للاستهلاك المحلي ، بينما اقتضت اسرائيل على التلذذ بانتصارها العسكري الخاطف ، وكانت الجماهير العربية غير مصدقة ان هناك فعلا حربا وقعت ، وان هناك هزيمة فعلا وقعت ، وكانت الانظمة العربية تمنى نفسها بالانتصار المعنوي ( مشاريع السلام ، قرار مجلس الامن ، مشروع روجرز ، الخ . . ) لكن اسرائيل كانت ولا تزال تتلذذ بالانتصار وتبني نفسها من الداخل والخارج ، وفي المقابل ، كانت المقاومة الفلسطينية هي وحدها في الساحة ، سواء على مستوى ادبي او على مستوى عسكري .

هل كانت هزيمة حزيران ٦٧ ايجابية ؟ من جهة نعم ، فشعير المقاومة اخذ العربة وحده واستمر في السير يولول وبشر بالعودة وكان المثقفون العرب وراهه يكون بمختلف الاصوات الحزينة : في مصر كتب جمال الفيطني « حكاية شاب عاش منذ الف عام » ، وفي سوريا كتب سعد الله ونوس مسرحية « حفلة سمر من اجل خمسة حزيران » . وفي الاردن كتب تيسير سبول « انت منذ اليوم » وامين شنار « الكابوس » ، بينما في لبنان كتب حليم بركات « عودة الطائر الى البحر » ، وكان هناك حوار شعري فاقم بين الشاعرة ناديا توينسي ( بالفرنسية ) والشاعر انسي الحاج حول الهزيمة ، وبهرور سنين على النكسة ، وعى المثقفون اللبنانيون مسؤوليتهم واخذوا يدينون الانظمة المسؤولة عن النكسة : جلال خوري قدم مسرحية « جحا في القرى الامامية » وعصام محفوظ « لساذا رفض سرحان ما قاله الزعيم عن فرج الله الحلو » في تشرين ٧١ ، ومحترف بيروت قسم « مجدلون » ، بالاضافة الى مسرحيات اخرى وروايات اخرى واشعار اخرى ( لا ننسى الاصطدامات التي كان يواجهها رجال المسرح اللبنانيون من طرف السلطة ) ، وبصفة عامة ، ازدهرت ثقافة ما بعد حزيران بجميع أنواعها وتوضحت الرؤية النقدية عند الجيل العربي الذي اطلقته الهزيمة من قيوده وكبته .

لقد استمر الادب العربي ، بعد حزيران ، يسير في ثلاثة اتجاهات رئيسية : دعم الثورة الفلسطينية بشكل مطلق ، اداة الواقع العربي الفاسد المسؤول عن النكسة ، التطلع الى المستقبل بروح جديدة ونفس جديد ، حتى اللفظة قد تبدلت ، في هذا الاطار تدخل كل الكتابات الجديدة للجيل العربي ، بدءا من مصر ، الى سوريا ولبنان ، الى العراق والاردن . ان جيل ٦٨ لم يكن ليظهر هكذا اعتباطا ، بل ان الظروف السياسية ، وما تحمله من تناقضات سورياوية ، كانت عاملا اساسيا في غرس وعي نقدي حاد ، وهكذا تجاوزت الاحداث والتجارب ، وكذلك تطور الوعي عند المثقف العربي ، تجاوزت كلها « احلام الفارس القديم » الذي ظل يجتر « مذكرات بشر الصوفي الماضي » ( ٢ ) .

تاريخيا ، لا يمكن ان يعطي ادب ما بعد حزيران ، الى الان ، اكثر مما اعطاه : لقد صفي الحسابات مع جيل ضامر لم يرد ان يتحرك منذ حركة التجديد في الشعر العربي . ذلك الجيل الذي انزوى قانعا بالانجازات الثقافية التي حققها في ظروف غياب الوعي الجماهيري وقبل انطلاقة حركة المقاومة عام ٦٥ ، والان ، حين نتساءل عن ملامح الادب العربي ، بعد حزيران الى حرب تشرين ( اكتوبر ) ، انما نفعل ذلك انطلاقا من عدة عوامل بارزة : اهمها ان ادب ما بعد حزيران قد استنفد ، هو الاخر ، طاقته واخذ يبحث عن بديل حتى ولو كان غامضا ( تجربة شعراء « مواقف » الجيدة رغم سورياويتها ) ، انحصار المقاومة